

المؤثرات الشرقية التي صُبَّتْ فيها (من تراث مصري قديم، وبابلي، ثم عربي إسلامي). كما لا يمكن تصور الحضارة العربية الإسلامية دون كل المؤثرات الأجنبية التي صُبَّتْ فيها. ويرى دارسو التشكيل الحضاري السامي أن خير ممثل له هو العرب، وأن العربية هي أقرب اللغات للغة السامية الأصلية الأولى (الافتراضية Ur Semitic language) التي تفرعت عنها كل اللغات السامية. ومعظم العلماء الغربيين والمسلمين يعرفون هذه الأمور. فهي ليست من اكتشافنا أو اختراعنا، بل إنها إحدى بدهيات علم الأنثروبولوجي المعاصر. ومع هذا كله نُصرُّ على استخدام هذا المصطلح الذي يعبر عن جهل أوروبا وعنصريتها، وعن نظرتها إلى العالم في القرن التاسع عشر.

ونفس الشيء يسري على مصطلح مثل «العلمانية». والعلمانية ظاهرة تعود أصولها إلى الحضارة الغربية، ثم انتشرت منها إلى بقية بلاد العالم من خلال آليات عديدة، من أهمها الإمبريالية الغربية التي «دوّلت» الظاهرة العلمانية، وقابلية بعض المجتمعات للعلمنة . . . إلخ. وتوجد تجربة علمانية في البلاد البروتستانتية في الغرب مختلفة عنها في البلاد الكاثوليكية. كما أن الكلمة الإنجليزية «Secular سكيولار» تختلف في معناها عن كلمة «Laique لا ئيك» الفرنسية. ونحن نذهب إلى أن الإنسان الغربي يعيش داخل التجربة العلمانية، ولذا فهو لم يفهم طبيعتها بتجارب أخرى مماثلة. وحينما أردنا أن نعبر عن هذه الظاهرة بالعربية لم ندرس الظاهرة في تعريفاتها المختلفة، ولم ننظر إليها في سياقها، وإنما تخبطنا في الترجمة من الفرنسية أو الإنجليزية (إذ لم يكلف أحد خاطره بدراسة ترجمة المصطلح إلى التركية أو الفارسية أو السواحلية مثلاً). وحينما أراد أحد المفكرين أن يعبر عن الظاهرة بكلمة «الدينوية» أو «الزمنية»، كمحاولة للخروج من المعجم الغربي بتضميناته المحددة، قامت الدنيا ولم تقعد. وسنكتشف أنه في الحوار الدائر بخصوص المصطلح ثمة مرجعية غربية عميقة كامنة، تجعل من العسير على المتحاورين اكتشاف النقص والخلل في المصطلحات الغربية، إنجليزية كانت أم